ذُو الحِلم
عامر بن الظَّرِب العَدْواني
أخباره وما بَقي من خطبه وأقواله

د. رسول حمود حسن

كلية الآداب

المقدمة

حفل تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام بأسماء لامعةٍ لرجال كانوا مدعاةً للفخر والاعتزاز، وسبباً لاهتمام المؤرخين والباحثين، لأنهم صّوروا عقلية أمتهم، ونظَّموا حياة شعبها، ورسموا خطط حياتها، بما صدر عنهم من خطب خالدةٍ، ووصايا شاملة، وحكم بليغة، وأقوال مأثورة، كانت تتلجلج في صدورهم، وتختمر في عقولهم، حتى أوصلوها إلى أسماع ذويهم، وأبناء جلدتهم، فرسمت لهم سبيل الصواب وطريق الحق وأسباب النجاح فساروا على هديها، والتزموا مضامينها، فكانوا أهلا لنيل شرف الرسالة المحمدية، وأهلاً لحمل مبادئها العظيمة وقيمها الخالدة.

ومن هؤلاء الرّجال: عامر بن الظَّرِب العدواني الذي تذكر شخصيته كلما ذكرت الخطبة البليغة والحكمة، المأثورة، والوصية الخالدة المنتزعة من ضمير التجربة الإنسانية، ليعبر فيها عن روح الاستقرار، وغريزة حب البقاء لمن يحبهم وينتمي اليهم.

وهذا البحث أتناول فيه حياة هذا الرجل وأخباره أولا وموضوعات خطبه ووصاياه وأقواله المأثورة مع دراسة فنية لها ثانيا.

أولا: الرّجل وأخباره

عامر بن الظّرِب[١] العَدْواني بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان[٢]، وقيل هو عامر بن الظّرِب بن عمر بن بكر بن يشكر بن الحارث، وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وهو الناس[٣] بن مضر أخو إلياس بن مضر[٤] واسم عدوان الحارث بن أسلم بن قيس عيلان، وإنما سميّ الحارث عدوان، لأنّه عدا على أخيه فهم بن أسلم بن قيس فقتله فسمّي عدوان[٥].

تتفق المصادر التاريخية على أنّ عامراً كان من المعمرين قبل الإسلام[٦] إلاّ إنّها لم تقف عند تحديد الحقبة التي عاشها أولاً وعدد السنين التي عَمّرَها ثانيا، فأبو حاتم السجستاني يذكر أنه عاش مئتي سنة[٧]، في حين يذكر الميداني أنه عاش ثلاثمائة سنة[٨].

أما شعره فيشير إلى أنّه عاش أكثر من ثلاثمائة سنة إذ يقول:

ثلاث مئين قد مررن كواملاً وها أنا هذا أرتجي مّر أربعِ[٩]

ومهما يكن من أمرٍ فإنّ الرجل عّمر طويلا قبل الإسلام، ويدلنا على ذلك اتفاق المصادر التاريخية التي عدّته من حكماء العرب وأئمتهم، فضلاً عن أقواله المأثورة وحكمة البليغة التي توحي بأنّ الرجل امتلك تجربة واختبر حياة.

ومما يدل على إنّه عَمّر طويلاً ما ذكرته المصادر التاريخية من أنّه لما أسنّ واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فهَّ[١٠] عن الحكم، وجار عن القصد[١١]، يقول صاحب الأغاني: إنّه لما كبر قال له الثاني من ولده: إنك ربما أخطأت في الحكم، فيحمل عنك، قال: فاجمعوا لي أمارة أعرفها، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب، فكان يجلس قدام بيته، ويقعد ابنه في البيت، ومعه العصا، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب[١٢].

وتختلف المصادر في ذكر أول من قرعت له العصا، إلا إنّها تتفق في كون عامر من الحكماء الذين قرعت لهم العصا، ويبدو لي أنّ هذه العادة كانت معروفة عندهم، شائعة بين حكامهم، وظلت نسبتها متنازعة بينهم، ولكن الاحتمال بأنّ فلانا استخدمها لأول مرة ونسبت إليه، وجاء للاحق ونسبت إليه هو الراجح في هذا المجال.

ولقب بذي الِحلم، لشدة ذكائه، وقوة عقله، ونباهة حسّه، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكما.

وفيه يقول المتلمس:

لذي الحِلْم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علّمَ الإنسان إلا ليعلما[١٣]

وقال الحارث بن وعلة[١٤]:

وزعمتم أن لا حلوم لنا ان العصا قرعت لذي الحِلْم

كان عامر إمام مضر وحكمها وفارسها[١٥]، ولمكانته العالية وذيوع شهرته، وسعة اطلاعه، وعدالة أحكامه، اتخذته العرب قاضياً عليها، وحكما لها بعكاظ[١٦]، ورضيت بما قضى فيه فلا تكون بينها نائرة[١٧] ولا عضلة في قضاء إلا اسندوا ذلك إليه، حتى فضلوه على كنانة (سلمى بن نوفل)، لأنه كان في الفهم والفطنة بمنزلة أذعن له بها العرب[١٨]، ولم يكن حكيما فحسب بل كان خطيباً ورئيساً[١٩].

وكان عامر قائداً وفارساً، ومن رجال معد المبرزين، ومن الجرارين من مضر[٢٠] قاد ربيعة ومضر وقضاعة كلهّا يوم البيداء، وهو من الأيام التي وقعت بين القبائل

القحطانية والعدنانية... وهو أول يوم تجتمع معد تحت راية واحدة، ولم تجتمع معد كلّها إلاّ على ثلاثة رهط من رؤساء العرب، وهم: عامر، وربيعة بن الحارث بن مرّة بن زهير قائد معد يوم السّلان[٢١]، وكليب بن ربيعة وهو الذي يقال فيه «أعزَّ من كليب وائل»[٢٢].

ومن الأحكام التي صدرت عن هذا الرجل ما ذكره أبو حاتم السجستاني عن الشعبي عن ابن عباس، قال: قضي عامر بن الظّرب من جديلة قيس على العرب بعد عمرو بن حُمَمَة الدَّوسي، فأتي عامر بخنثى، له ما للرجال وما للمرأة فأشكلت عليه، فأقام أربعين يوماً لا يقضي فيه بشيء، فأتته أمة سوداء تسمى (خصيلة)[٢٣] فقالت: أيها الشيخ أفنيت علينا ماشيتنا، وإنّما أفناهُنّ أنه كان يذبح لأصحاب المسألة كل يوم شاةً، فقال: ويلك إنّي أتِيتُ في أمر لا أدري أصَعَّدُ فيه أم أصُوَّبُ، فقالت: وما ذلك؟ قال: أُتيتُ بمولود له ما للرجل والمرأة، فقالت: وما يشُق عليك من ذلك؟ اتبعِه المبالَ، أقعده، فإن كان يبول من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن كان يبول من حيث تبول النساء فهي امرأة، فلما أصبح قضى بالذي أشارت، فلما جاء الإسلام شدّدَ القضية، فصارت سُنّةَ في الإسلام[٢٤].

ومن السنن التي سنّها لأول مّرة، فاتبعها العرب من بعده أنّه جعل الدّية مائة من الإبل، وإنّما جعلها مائة من الإبل لعظم الإبل عندهم حتى أصبحت حكماً جارياً عندهم[٢٥].

ومن الأحكام التي شّرعها لأول مّرة فأصبحت عند العرب حكماً ثابتا، خلعه لابنته ودفع مهرها لابن أخيه، فكان أول خلع ثم أثبته الإسلام[٢٦].

إن صدق أحكامه، ونزاهته فيها، وإصابته الرأي، تضعه مع أحكام ذوي الرأي، وفقهاء عصره الذين عرفوا بالإصابة والنزاهة، والمقدرة على استنباط الأحكام المناسبة في فض المنازعات، وإنهاء الخصومات بل تضعه في مصافّ الحكام الذين اشتهروا في أحكامهم، واستقاموا في سيرتهم، حتى ذاع اسمهم بين القبائل، وارتضتهم العرب حكاماً عليهم، لشَّدّةِ ذكائهم، وغزارة علمهم، ونباهة عقولهم، ونزاهتهم في القضاء.

إنّ أحكامه التي أقرّها الإسلام تزيد من مكانته بين هؤلاء الحكام، وتجعله علماً بين الأعلام الذين ذاع صيتهم وانتشر اسمهم فتغنى الشعراء بهم، ومن هؤلاء الشعراء: ذو الإصبع العدواني الذي يقول فيه:

ومـــــنهم حَكـــــم يقضـــــي فـــــلا يَـــــنْقضُ مـــــا يقضـــــي[٢٧]

ويقول أَبو الفرج الأصفهاني (ومنهم حكم يقضي) يعني عامر بن الظّرِب العدواني[٢٨].

ويقول فيه حُرَيْث بن عنّاب النبهاني[٢٩]:

إلى حَكَم مِنْ قيس عَيْلان فَيْصَلٍ[٣٠] وآخَرَ من حَيّيْ ربيعة عالمٍ

أراد بأحد الحكمين عامراً بن الظّرِب العدواني، والأخر دغفلاً النسابة[٣١].

ثانيا: خطبه ووصاياه وأقواله المأثورة

موضوعاتها:

أفاض نثره عن سيل غدق من الوصايا الشاملة، والتوجيهات السديدة، ودعا فيها إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة، والقيم المجيدة، فالتزم بها قومه، وتمسكوا بها، وأوصوا أبناءهم بعدم الخروج عنها حتى تجسدت في سلوكهم وتصرفاتهم، فكان لها الأثر الأكبر في تنظيم حياتهم الاجتماعية، وتوجيهها نحو الخير والمحبة والتعاون ونبذ الشر وكُره الباطل، وذم التفرق.

ومن هذه الموضوعات: الدعوة إلى الصدق والوفاء بالوعد، والتي ظلت صورها من أكثر الصور وضوحاً وجلاء عنده، وهو وضوح يمثل انعكاساً، حقيقياً وصادقاً لميل الإنسان العربي إلى هذه السمة وحبّه لها، والعمل من أجل نشرها بين الناس وإلزامهم بها، فيقول: «وإنّي وجدت الصدق طرفاً من الغيب، فاصدقوا تصدّقوا»[٣٢].

ولأن الصدق يقوي العلاقة، ويديم الصلة ويرسخ الثقة بين الناس يوصي ابن أخيه وزوج ابنته بصدق الحديث معه، ليكون جوابه صادقاً، فيقول من وصية له: «فإن صدقتني صدقتك»[٣٣].

ثم ينهاه في الوصية نفسها عن الكذب لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، وإنّ من سلك طريقه فسد قوله، وذهب رأيه، وضاع فعله فيوضح أنه: «لا رأي لمكذوب»[٣٤].

ويدعو قومه إلى فعل الخير لحسن نتائجه، ونبذ الشر لسوء عواقبه، ولأهمية هذا الموضوع تعددت أقواله في ذلك فاشتملت على نصائح قيمة في بناء المجتمع وإصلاح الفرد، فمثلاً نراه يحذر قومه من الاقتراب من الشر، لأنه من اقترب منه، وقع فيه فيقول:

«إنّما الشّر مّيت، وإنّما يأتيه الحي فيصيبه، ومن اجتنب الشر لم يثب الشر عليه»(٣٥).

ويحبب قومه إلى الخير، لأن من أحب الخير لا يفعل إلا الخير، ويكرههم الشر، لأن من كره الشر اجتنبه، فيقول:

«من سبقكم إلى الخير فاتبعوا أثره، تجدوا فضلاً، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب»(٣٦).

ويجلي صورة حبّه للخير، نهيه عن حسد من أصابه الخير، أو الشماتة من شخص أصابه الشر، لأنهما خلقان ذميمان وسبيلهما الفشل في الحياة، فالحسد لا يجر على صاحبه إلاّ الشر وقلة العطاء، فيقول محذراً من الحسد:

«إياكم والحسدَ فإنهّ شؤم ونكد»(٣٧).

ويكره إلى قومه الشماتة، لأن الأيام دول، فما يصيب غيرك اليوم يصيبك ذاته غداً، فيقول: «من يرَ يوماً يُرَ به»(٣٨).

ومن الموضوعات التي تناولها تحذير قومه من الظلم، وسوء عواقبه، وأن الباطل والحق لا يجتمعان عنده، فيقول:

«من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، فأجيبوا إلى الحق، وادعوا إليه، وأذعنوا له»(٣٩).

واستكمالاً لدعوته إلى الحق ونبذ الباطل نراه يدعو إلى عقوبة المعتدي، لأنها حق للنفوس المعتدية، وعبرة لغيرها، وراحة للجميع فيقول:

«العقوبة نكال وفيها ذمامة، فلا تذموا العقوبة، واليد العليا معها عافية، والقود راحة لا عليك ولا لك»(٤٠).

وقد لا يكتفي بالعقوبة بل يشدد عليها، ويشدد الضرب على أيدي السفهاء، لتقل الجرائر، وتنحسر الجرائم، وتتعظ النفوس المريضة بها فيقول:

«خذوا على أيدي سفهائكم تقل جرائمكم» (٤١).

ولأهمية الصبر يوصي قومه فيه، لأنه عدة الظفر، ومفتاح النجاح، وسبب للغلبة والنصر فيقول:

«وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة»[٤٢].

ويوصيهم بالرأي السليم وعدم تغليب الهوى عليه، وخاصة في الأمور الجليلة، والمواقف الصعبة، ويحذرهم من التسرع في اتخاذ القرار قبل نضجه، والمشورة فيه فيقول:

«دعوا الرأي يغبَّ حتى يختمر، وإياكم والرأي الفطير»[٤٣].

وفي ضوء تلك الأقوال والموضوعات التي عالجها نستطيع الوقوف عند فلسفته الخاصة، ونظرته إلى الحياة وهي «فلسفة ليست ذات أصول وتفكير منظم، على وفق علم مدروس، بل هي إلى الإحساس الذاتي والتأثير أقرب منها إلى التفكير العملي، فهي نظرات وتأمل في الحياة والموت، ومحاولات لسنّ نظم خلقية، يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك»[٤٤] فجاءت تلك الأقوال متسمة بالنضج العقلي، وبواقعية حياتهم، ومستمدة خبراتها من أخبار الماضين وملوكهم، ومقرونة بحياتهم فضلا عن تجربته للحياة الطويلة الحافلة بأخبار أجيال مضت وأخرى نشأت، وخبراته المتنوعة فيها، فكانت تصويراً صادقاً وأميناً لفطرتهم السليمة، ونفسيتهم الواضحة البعيدة عن الغموض والتعقيد.

أسلوبه

على الرغم من قلة ما وصل إلينا من نثره لكننّا نستطيع أن نحدد بعض ملامحه الفنية، وسماته الأدبية، فمن حيث الشكل نلاحظ أنه يبدأ خطبه ووصاياه بعبارة نداء تلائم الموصى له، وهي عبارة تلازم كل ما وصل إلينا من نثره، فعندما يتقدم صعصعة بن معاوية لخطبة ابنته يفتتح خطبته بقوله: «يا صعصع»[٤٥]، وعندما يخاطب قومه يقول: «يا معشر عدوان»[٤٦]، وفي مخاطبته لابن أخيه يقول: «يا ابن أخي»[٤٧]، وفي وصيته لابنته يقول: «يا هذه»[٤٨].

ويبدو لي أنه أراد من ذلك تخصيص جهة الوصية وتحديدها، لإلزامها بأفكار الوصية ومعناها.

أما الخاتمة فتنتهي نهاية غير محددة ما عدا وصيته إلى قومه، فتنتهي بحوار جميل مع قومه، يكشف لنا عن سرعة البديهة والارتجال، وينم عن ذوق أدبي رفيع، وأسلوب فني كان أنموذجاً جيداً لنماذج حوارية أعم وأشمل في العصور اللاحقة[٤٩].

أما من حيث الطول والقصر فالسمة الغالبة هي: القصر، وذلك لطبيعة موضوعات وصاياه، التي يغلب عليها الجانب الحكمي أولاً، ولطبيعة الحياة العربية السريعة والبسيطة ثانياً.

أما من حيث المضمون، فأسلوبه يتسم بسمات متعددة، ولعلّ من أهمها: إيجاز العبارة وقصر الفقرات، والجمل داخل النص مع ملاحظة «استقلال العبارة بمعناها أو ارتباطها مع ما بعدها بواو العطف»[٥٠] من ذلك قوله:

«لكل عام طعام، ولكل راع مرعى، ولكل راح مريح، وتحت الرغوة الصريح»[٥١].

ويمثل التكرار سمة في أسلوبه، وهذا يدل على اهتمامه بمعانيه، وحرصه على إيصالها إلى قومه، لأنها نابعة، من تجاربه الخاصة التي عاشها، وواكب أحداثها، وهي سمة تدل على مقدرة فائقة في أداء المعاني الواحدة بعبارات متعددة، وأساليب مختلفة، ودلالات متنوعة، نقرأ ذلك في وصيته إلى قومه، اذ يقول:

«من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإنّ الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل يَنْفر من الحق...»[٥٢].

ويجنح بأسلوبه إلى التعليل، وذكر الأسباب، ليقدم البرهان على صحة الوصية، ويقطع الشك ممن توجه إليه، فيقول:

«مُرِي ابنتك فلا تَنزلنّ فلاةً إلا ومعها ماء، وأن تكثر استعمال الماء، فلا طيب أطيب منه، وإنّ الماء جعل للأعلى جلاء، وللأسفل نقاء»[٥٣].

وتتعدد الأساليب عنده ومن أهم هذه الأساليب: الشرط، والأمر، والنهي، والتوكيد، ويتصدر أسلوب الشرط هذه الأساليب وذلك، «لأنه أداة الشرط أكثر من غيرها ملاءمة في أن تكون أساساً لجملة الحكمة، وذلك لأنها تقيم شرطاً عقلياً يبني عليه المتحدث نتيجة عقلية، وهذه الشروط والنتائج خلاصة لتجارب الحياة، وتوقعاتها الأكيدة وهي لا تأتي إلا من تفاعل الحياة مع رجاحة العقل»[٥٤].

ولأن الحكمة منصبة على الناس، ومتخصصه بهم نراه يكثر من استخدام أداة الشرط (مَنْ)، لأنها غالباً ما تستخدم للعاقل، وللتعبير عن الحكم الثابت القائم على التجربة الماضية من ذلك قوله:

«مَنْ جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له»[٥٥].

ويستخدمها أحياناً للتحذير من شيء عُرفت حقيقته، فيقول:

«مَنْ اجتنب الشر، لم يثب الشر عليه»[٥٦].

ولتركيب قضية من مقدمتين تكون الأولى علّة للأخرى يعمد إلى الأداة (لو) أو (لولا) فيقول:

«ولو كان يُمِيت الناسَ الداءُ لأعاشهم الدواء»[٥٧].

وقوله:

«ولو أخذ فيّ لومكم لا تّبعتُ قولكم»[٥٨].

وقوله:

«ولولا قَسْم الحظوظ ما أدرك الآخر مع الأول شيئاً»[٥٩].

أما أسلوب: الأمر والنهي فيطردان في نثره، وهما أسلوبان يلائمان الوصية، لأن الأمر ألزم المخاطب بأحكامها، وحثه على التمسك بها، والنهي أمر بعدم الخروج عن تعليماتها[٦٠].

ويأتي التأكيد عنده بـ(إنَّ) بكثرة وتقع أحيانا في بداية جملة لها علاقة بجملة سابقة، لتزيدها توكيداً، وتوثق الربط بينهما، وتعلل ما قبلها، وكأن الجملتين جملة واحدة، من ذلك قوله:

«إياكم والشر، فإن له باقية»[٦١].

وتدخل أحياناً على جملة جواب الشرط، لتزيد من توكيده، وتكسبه من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه[٦٢]، فيقول:

«من رأيتموه أصابه شر فإنّما أصابه فعله»[٦٣].

أما لغته فجاءت متسمة بالفصاحة غير متأثرة بلهجة معينة، فهي تشابه خصائص اللغة العالية، لأن الحقبة التي عاشها تعّد من الحقب التي تكاملت بها اللغة العربية حتى بلغت ذروة سنامها في النضج والكمال، فراح يستمد من ذلك المنهل العذب مفردات تلائم معانية السامية، وأفكاره الرائعة، ولهذا عدّه الجاحظ من الخطباء البلغاء، والحكام الرؤساء[٦٤]، وجعله الآلوسي من فصحاء العرب[٦٥]، وعند الميداني من حكماء العرب، ولا تعدل بفهمه فهماً، ولا بحكمه حكماً[٦٦].

أما معانيه فنجدها متباينة الدلالات، متعددة الموضوعات ضمن الوصية أو الخطبة الواحدة[٦٧]، في حين نجدها في أشكال تعبيرية أخرى واحدة فلا تفريع، ولا تعدد فيها[٦٨].

ولتقوية معانيه وزيادة وضوحها، نجده يضمن خطبه ووصاياه امثالاً وحكماً لغيره[٦٩].

أما من حيث طول الجملة وقصرها فنراه يعمد إلى الجمل القصيرة المستقلة بمعناها، المتسمة بابتعادها عن الجدل والنقاش «فهو أعطى قومه خلاصة تجاربه مركزة في هذه الأقوال الموجزة الجارية مجرى الأمثال والحكم»[٧٠].

الخاتمة

نخلص من ذلك إلى وضوح معانيه وبساطتها، وأنها بعيدة عن الإغراق والمبالغة.

أما من حيث الشكل فنراه يهتم بموسيقى العبارة أحياناً فيعمد إلى الموازنة، وتقسيم الألفاظ في العبارة الواحدة، ليخلق فيها الوزن والإيقاع اللذين يحدثان نوعاً من التنغيم ليؤثر في نفوس مستمعيه، من ذلك قوله:

«ليس على الرزق فوت، وغنم من نجا من الموت، الملك خوف، والسيف حيف» [٧١].

أما السجع فيأتي عنده عفوياً، وحين تقتضي الضرورة، وهو حين يأتي لا يتعدى الفقرتين أو الثلاث أحياناً، فيأتي جميلاً مألوفاً، بعيداً عن التكلف والصنعة، من ذلك:

«وإلا يكن وماق ففراق، وأجمل القبيح الطلاق»[٧٢].

والأكثر في نماذج نثره، إنهّا تأتي مرسلة بعيدة عن السجع.

ولتزيين العبارة وتوضيح المعاني، يعتمد إلى الطباق «لأن تقابل المعنيين وتخالفهما، يزيد الكلام حسناً وطرافة، والضد يظهر حسنه الضد»[٧٣] ومن ذلك قوله:

«ما رأيت جائياً إلاّ ذاهباً، ولا غانماً إلا خائباً، ولا نعمة ألا ومعها بؤس»[٧٤].

ويعمد أحياناً إلى الجناس، ليعطي للعبارة جرساً موسيقياً، لأن تماثل الكلمات، يعطي للكلمة موسيقى تريح السمع، وتطرب النفس، فيقول:

«ما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسّه، ووجدت مسّه»[٧٥].

نلخص من ذلك إلى أنَّ أدبه يمثل أدب صفوة من رجال امتازوا بصدق أحكامهم، وجمال أسلوبهم، وعذوبة ألفاظهم، حتى غدت أقوالهم ووصاياهم قوانين تنظم حياة أبنائهم وأمتهم منها يستمدون سنن حياتهم وطبيعة العلاقة فيما بينهم ومع جيرانهم.

ويؤكد صدق أحكامهم، ونبل وصاياهم ما ساد الحياة العربية من أخلاق فاضلة، وقيم نبيلة، ومثل عليا أثرت عنهم، وتجسدت في سلوكهم وتصرفاتهم، فكان لها أثراً في تنظيم هذه الحياة، وتوجهها نحو الخير والمحبة والتعاون والتآلف.

وظل عامر بن الظرب العدواني وغيره من حكماء العرب وساداتهم يطمحون وينادون إلى تحقيق ذلك كله، من خلال صيحاتهم ووصاياهم المتنوعة، وأحكامهم العادلة، وما إقرار الاسلام لبعض تلك الأحكام، وتأثر الناس بأقوالهم وأحكامهم إلا دليل على رجاحة عقول أصحابها وواقعية تفكيرهم، وفطرتهم الانسانية التي بقيت سليمة لم يصبها شيء مما أصاب الأمم المجاورة لهم، فضلت قيم الشرف والتضحية والكرم والعزة، والصدق والإخلاص، وحب الآخرين ومساعدتهم والصبر والحلم، ورجاحة الرأي والمشورة ذخائر تؤثر عنهم حتى جاء الإسلام فوسع أفقها ونقلها من صعيدها القبلي الضيق الى أفقها الإنساني الرحب، فاستقرت حيث استقر الإسلام الذي أصبح ليس ملكاً للعرب فحسب بل للإنسانية جمعاء.

الهوامش

(١) الظَّرب: الغليظ من الأرض، لا يبلغ أن يكون جبلاً، والجمع أضرب، والظّربِ: جبيل، والظّرب: اسم رجل، وبه سمي عامر بن الظرب العدواني. ينظر الاشتقاق: ٢٦٨، الصحاح: ١/ ٤/ ٩٧٤، لسان العرب: ١/ ٥٦٩.

(٢) ينظر: المحبر ١٨١، السيرة النبوية: ١/ ١٦٩، جمهرة أنساب العرب: ٢٤٣، الأعلام: ١٤/٢٠.

(٣) وهو المعروف بـ(أناس) بقطع الهمزة.

(٤) ينظر: العقد الفريد: ٦/ ٦٩، الكامل في التاريخ: ١/ ٥٢٣.

(٥) التيجان في ملوك حمير ٢٤٥.

(٦) ينظر: كتاب الأمثال ١٠٣، المعارف ٥٥٣، الاشتقاق ٢٦٨، الأغاني ٣/ ٩٠، فصل المقال ١٣١، العقد الفريد ٣/ ٢٩، والإعلام ٤/ ٢٠.

(٧) المعمرون والوصايا ٥٦.

(٨) مجمع الأمثال ١/ ٦٤.

(٩) مجمع الأمثال ١/ ٦٤، والبيت الذي قبله:

وما الموت أفناني ولكن تتابعت علـيّ سنون من مصيف ومَرْبع

(١٠) أيّ نسيّ أو شذ في الحكم.

(١١) البيان والتبيين: ٣/ ٣٨.

(١٢) الأغاني: ٣/ ٩٠، تنظر المصادر الآتية: كتاب الأمثال: ١٠٣، العقد الفريد: ٣/ ٢٩، مجمع الأمثال: ١/ ٦٢، الاشتقاق: ٢٦٨، الأعلام: ٤/ ٢٠.

(١٣) الاصمعيات أصمعية رقم ٩٢ البيت السابع، والمتلمس أحد شعراء الجاهلية، وهو خال طرفة بن العبد، ينظر: الأغاني ٢١/ ١٢٠، وسرح العيون: ٢٧.

(١٤) الحارث بن وعلة بن عبد الله الجرمي، من فرسان قضاعة وشعرائها شهد وأبوه يوم الكلاب الثاني، ينظر: الأغاني: ١٩/ ١٤١ –١٤٢.

(١٥) الأعلام: ٤/ ٢٠.

(١٦) العقد الفريد: ٣/ ٣٠٣.

(١٧) الكائنة الشنيعة تكون بين القوم.

(١٨) بلوغ الأدب: ٣/ ٣٣٥.

(١٩) البيان والتبيين: ١/ ٤٠١.

(٢٠) المحبر: ٢٤٦، ولم يكن الرجل يسمى جراراً حتى يرأس ألفاً.

(٢١) السلان: مما يلي الحجاز واليمن، وهو مكان بين تهامة واليمن.

(٢٢) العقد الفريد: ٦/ ٩٦، الكامل في التاريخ: ١/ ٥٢٣، خزانة الأدب: ٢/ ١٦٥، نهاية الأدب: ٥/ ٣٩٦، المفصل في تاريخ العرب: ٤/ ٤٩٤.

(٢٣) وردت في السيرة النبوية اسمها (سخيلة) وكذلك في مجمع الأمثال رقم المثل ٣٩٨٦.

(٢٤) المعمرون والوصايا: ٥٧، تنظر المصادر الآتية: المحبرّ: ٢٣٦، السيرة النبوية: ١/ ١٦٩، المعارف: ٥٥٣، عيون الأخبار: ١/ ٣٧، الأوائل: ٥٥، تاج العروس: ٥/ ٤٦١، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر: ٢/ ١٥٨.

(٢٥) جمهرة النسب: ٣١٢، المقتضب من كتاب جمهرة النسب: ١٣٨، الروض النضر في ترجمة أدباء العصر: ٢/ ١٥٨، يقول ابن حزم (إن لقمان كان قد جعلها قيل ذلك مائة جدي)، ينظر: جمهرة انساب العرب: ٤/ ٢٦٤.

(٢٦) الأوائل: ٥٧، وتنظر المصادر الآتية: السيرة النبوية: ١/ ١٦٩، المحبرّ: ٢٣٦، عيون الأخبار: ٤/ ٧٦، الوسائل لمعرفة الأوائل: ٦٤.

(٢٧) ديوانه: ٤٨.

(٢٨) الأغاني: ٣/ ٩، السيرة النبوية: ١/ ١٦٩.

(٢٩) ديوان الحماسة: ١/ ٢٤٦.

(٣٠) فَيْصل: أي يفصل الأمور.

(٣١) ديوان الحماسة: ١/ ٢٤٧.

(٣٢) المعمرون والوصايا: ٥٩، البيان والتبيين: ١/ ٤٠١، الأمالي: ٢/ ١٥٧، عيون الأخبار: ١/ ٢٦٦، جمهرة خطب العرب: ١/ ٢٨٧.

(٣٣) الوصية في: المعمرون والوصايا: ٦٠، عيون الأخبار: ٤/ ٧٦.

(٣٤) المعمرون والوصايا ٦٠.

(٣٥) من وصية طويلة إلى قومه، ينظر: المعمرون والوصايا: ٥٩، البيان والتبيين: ١/ ٤٠١، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٤٥.

(٣٦) من وصية طويلة إلى قومه، ينظر: المعمرون والوصايا: ٥٩، البيان والتبيين: ١/ ٤٠١، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٤٥.

(٣٧) من وصية طويلة لقومه، تنظر المصادر الآتية: المعمرون والوصايا: ٥٩، البيان والتبيين ١/ ٤٠١، الأمالي: ٢/ ١٥٧، عيون الأخبار: ١/ ٢٦٦، جمهرة خطب العرب: ١/ ٢٨٧.

(٣٨) من وصية طويلة لقومه، وينظر المصادر الآتية: المعمرون والوصايا: ٥٩، البيان والتبيين ١/ ٤٠١، الأمالي: ٢/ ١٥٧، عيون الأخبار: ١/ ٢٦٦، جمهرة خطب العرب: ١/ ٢٨٧، النكال: العبرة، ونكلت بفلان عاقبته في جرم أجرمه، القود: القصاص.

(٣٩) المصادر نفسها.

(٤٠) المصادر نفسها، النكال: العبرة، ونكلت بفلان عاقبته في جرم أجرمه، القود: القصاص.

(٤١) المصادر نفسها.

(٤٢) المعمرون والوصايا: ٦١.

(٤٣) العقد الفريد: ١/ ٦٠، ويقول فيه أيضاً: (الرأي نائم، والهوى يقظان، فلذلك يغلب الهوى الرأي)، ينظر: بهجة المجالس: ٢/ ٤٥٢.

(٤٤) الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، يحيى الجبوري: ٤٠٣.

(٤٥) المعمرون والوصايا: ٦٣، مجمع الأمثال: ٢/ ٦٩، بلوغ الأدب في معرفة أصول العرب: ١/ ٣١٨، جمهرة خطب العرب: ١/ ٢٨٦.

(٤٦) المعمرون والوصايا: ٥٩.

(٤٧) المعمرون والوصايا: ٦١، عيون الأخبار: ٤/ ٧٦.

(٤٨) المصدر نفسه ٦٠.

(٤٩) المعمرون والوصايا ٦٣.

(٥٠) الوصايا في الأدب العربي القديم ٣١.

(٥١) المعمرون والوصايا: ٥٩، مجمع الأمثال: ٣/ ٣٤٥.

(٥٢) الأمالي: ٢/ ١٥٧، وينظر في الوصية ذاتها تكراره العبارة وهو يعالج الحذر من الشر والباطل.

(٥٣) المعمرون والوصايا: ٦٠، عيون الأخبار: ٤/ ٧٦.

(٥٤) البناء الفني لشعر الحكمة عند المتنبي ص ١٧١، د.هادي الحمداني مجلة الضاد ج٢ دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٩.

(٥٥) عيون الأخبار: ١/ ٢٦٦.

(٥٦) المعمرون والوصايا: ٥٩.

(٥٧) مجمع الأمثال: ٢/ ٦٩، بلوغ الأدب: ٢/ ٢٧٥.

(٥٨) المعمرون والوصايا: ٦٢، جمهرة الأمثال: ١/ ٢٧٠.

(٥٩) البيان والتبيين: ٢/ ٧٧، كتاب الأوائل ٥٥.

(٦٠) تنظر هذه الأساليب في وصاياه وأقواله المختلفة في المصادر الآتية: المعمرون والوصايا، مجمع الأمثال، جمهرة خطب العرب.

(٦١) الأمالي ٢/ ١٥٧.

(٦٢) حسن التوسل في صناعة الترسل: ١٧١.

(٦٣) المعمرون والوصايا: ٥٩، من وصية إلى قومه.

(٦٤) البيان والتبيين: ١/ ٣٧٥.

(٦٥) بلوغ الأدب في معرفة أصول العرب: ١/ ٣١٦.

(٦٦) مجمع الأمثال: ١/ ٦٢.

(٦٧) تنظر ووصيته إلى قومه في: المعمرون والوصايا: ٥٩.

(٦٨) تنظر وصيته لابنه ووصيته لابن أخيه في: المعمرون والوصايا: ٦٠ –٦١، وعيون الأخبار: ٤/ ٧٦.

(٦٩) من ذلك مثلا ما ورد في إحدى وصاياه المثل: (من يرَ يوماً يُر به) والمثل منسوب في الميداني: ٣/ ٣١٨ إلى كلخب بن شؤبوب الأسدي.

(٧٠) الخطابة في عصرها الذهبي: ١٩.

(٧١) جمهرة أمثال العرب: ١/ ٢٧٠.

(٧٢) من وصيته لابن أخيه في: المعمرون والوصايا: ٦١، ومعنى الوماق: الوفاق.

(٧٣) جواهر البلاغة: ٢٦٣.

(٧٤) المعمرون والوصايا: ٦٣، البيان والتبيين: ٢/ ٧٧.

(٧٥) المصادر نفسها.

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله بن محمود الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مصر، ط٣، ١٩٨٥م.

٢. الاشتقاق، أبو بكر بن دريد الأزدي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بغداد، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٣. الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، مصر، (ت.د).

٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، مطبعة كوستاتوماس، ط٢، ١٩٥٤.

٥. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية.

٦. الأمالي، أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٧. الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سّلام (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، السعودية، ١٩٨٠م.

٨. الأوائل، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد الوكيل، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

٩. بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، مصر، ١٣٤٢هـ.

١٠. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (د. ت).

١١. الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، بيروت، ١٩٨٨م.
١٢. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)، بيروت، ١٩٨٣م.
١٣. جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت، مصر، ١٩٦٢م.
١٤. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، مصر، ١٣٧٩هـ.
١٥. حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٩٨٠.
١٦. خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، (د.ت).
١٧. الخطابة في عصرها الذهبي، إحسان النص، مصر، ١٩٦٣م.
١٨. ديوان ذي الأصبع العدواني، تحقيق: عبد الوهاب محمد العدواني، العراق، ١٩٧٣م.
١٩. الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين العمري (ت ١١٨٤هـ)، تحقيق: سليم النعيمي، العراق، ١٩٧٥م.
٢٠. السيرة النبوية، ابن هشام (ت ٢١٨هـ)، تحقيق: همام سعيد، الأردن، ١٩٨٨م.
٢١. الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، د.يحيى الجبوري، بيروت ١٩٨٦م.
٢٢. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٣. المحبّر، أبو جعفر بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، الهند، ١٩٦٠م.
٢٤. مجمع الأمثال، الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٥. المستقصي في أمثال العرب، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٢٦. المعمرون والوصايا، أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد علي، بيروت، ١٩٧٦م.
٢٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ)، مطبعة مصورة عن دار الكتب.
٢٩. الوسائل لمعرفة الأوائل، السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: إبراهيم العدوي، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
٣٠. الوصايا في الأدب العربي القديم، د.سهام الفريح، الكويت، ١٤٠٨هـ.